مقاومة أبناء الجلفة للاحتلال الفرنسي

والزاوية الطاهيرية الرحمانية سي عبد الرحمن طاهيري

. أنموذجا .

Resistance of the people of Djelfa to the French occupation

Si Abdul Rahman Taheri and Al Zawia Al Taheria Al Rahmani

.a model .

أمحمد قرّود

جامعة الجلفة

Garoud.baha@yahoo.fr

مقدمة:

شارك أبناء الجلفة في معظم المقاومات و الثورات الوطنية ، و برز زعماء قادوا مقاومات محلية كان من أبرزهم الشريف بلحرش ، التلي بلكحل ، و الطيب بوشندوقة خلال القرن ال19 ، و في بداية القرن الـ 20 ظهر الزعيم السياسي و الديني الشيخ سي عبد الرحمان بن الطاهر ابن الزاوي الطاهيرية الرحمانية الذي بعث المقاومة من جديد في وقت ظن العدو الفرنسي أن المنطقة قد استكانت لاحتلال .

و لإعطاء صورة متكاملة عن مساهمة أبناء الجلفة و الزاوية الطاهيرية و شيخها سي عبد الرحمان في مقاومة الاحتلال الفرنسي كان لازما علينا أن نجيب عن الإشكالية التالية :

ما مظاهر مقاومة الشيخ سي عبد الرحمان بن الطاهر و الزاوية الطاهيرية لسياسة الاحتلال ؟

01 / مشاركة أبناء الجلفة في مقاومة الأمير عبد القادر .

ساهم أبناء منطقة الجلفة في معظم المقاومات الوطنية طيلة القرن التاسع عشر تقريبا ،فقد شارك فرسان أولاد نائل و غيرهم من عروش المنطقة مع الأمير عبد القادر ، و الشيخ موسى الدرقاوي والزعاطشة ، وبومعزة ، و ابن ناصر بن شهرة ، و مقاومة محمد بن عبد الله شريف ورقلة ، و كانت لهم إسهامات في ثورة المقراني و مقاومة أولاد سيدي الشيخ ، و نظموا مقامات محلية من أهمها ثورة التلي بن لكحل، و يوشندوقة ، و صولا إلى مقاومة سي عبد الرحمان بن الطاهر طاهيري مطلع القرن العشرين.

أكدت الكثير من المصادر و المراجع ومنها (فرونسوا ديفيلاري) في كتابه (قرون السهوب Siècles de steppe) مشاركة عرش الجلفة في مقاومة الأمير عبد القادر منذ و صوله إلى المنطقة سنة 1936 ، حيث تمت مبايعته بالمكان المسمى الكرمونية من طرف بطون أولاد نائل هناك[1]، وصارت منطقة الجلفة ضمن دولة الأمير عبد القادر الحديثة .

بحكم أن موضوعنا يتمحور حول مقاومة سي عبد الرحمن بن الطاهر جنوب الجلفة فسيكون تركيزنا على المناطق التي آزرت الأمير عبد القادر في تلك الجهة خاصة منطقة مسعد التاريخية التي تشمل . حسب التقسيم الإداري الجديد دوائر . مسعد ، فيض البطمة و عين الإبل .

حسب ما أكدته الدراسات التاريخية فإنّ جيش الأمير عبد القادر قد مرّ سنة 1837 عبر جبل دهوان و بلغ وادي ختآلة غرب مسعد حيث استقبلته وفود غفيرة من مسعد (بدو أولاد نائل الرحّل) ، و في طريقه إلى جبل بوكحيل التقى بالمقدم سي محمد الزبدة كبير عرش أولاد أم الإخوة ، ومن هناك انتقل إلى كاف الطيور وكان لهذا اللقاء أهمية كبيرة ، لأنه جمع الأمير بأهم رموز الطريقة الرحمانية في المنطقة[2].

قام الأمير عبد القادر في بداية سنة 1846 بحملة عسكرية ثانية في منطقة الهضاب العليا لتأديب بعض القبائل المتعاونة مع الاستعمار ، و شارك معه أولاد نائل في تلك الحملة بـ 150 فارسا و400 من المشاة بقيادة سي الشريف بن لحرش خليفة الأمير في مناطق أولاد نائل ، و خلال هاته الحملة اضطر الأمير للتوغّل بجيشه نحو المنطقة الجنوبية للجلفة بعد ما تعرض لهجوم مباغت من القوات الفرنسية بمنطقة عين الكحلة في 13 مارس 1846 .

وصل إلى منطقة مسعد في 19 مارس 1846 واستقبل بحفاوة من قبل أهلها الذين قدموا له ما يحتاج جيشه من مؤنة و علف الخيول (الذي كان مؤمنا سابقا بالدار المسماة دار الأمير بدمد)[3] ليتوجه بعدها إلى منطقة زنينة ، الإدريسية حاليا التي وصلها بعد ثلاثة أيام .

كانت عيون جيش العدو الفرنسي تراقب تلك التحركات و تهاجم القرى التي تقدّم العون لجيش الأمير ، بل عاقب الاستعمار حتى القرى و المداشر التي مرّ بها ومثّل ذلك عقابا جماعيا للأهلي حتى لا يجد جيش الأمير من يموّنه أو يسانده وكمثال على تنكيل جيش العدو الفرنسي ، ما فعله في قرية سيدي بوزيد في 23 مارس 1846 حيث أفرغت المخازن و أحرقت البيوت ، مما دفع بالكثير من بسكانها للإلتحاف بجيش الأمير المتوجه نحو قعدة القمامة (بآفلو) .

عاد الأمير بجيشه إلى نواحي مدينة مسعد للمرة الثالثة في بداية افريل 1846 و تبعه جمع كبير من أهاليها (الرحّل) ليقفوا معه ضد القوات الفرنسية ومن آزرهم من بعض القبائل[4]، و قد تعرض جيش الأمير و قبائل المنطقة لهجوم من قوات العدو و من تحالف معه بجبل بوكحيل في 06 افريل 1846 ، و حاولت القوات الفرنسية التوغل داخل الجبل أكثر للوصول للأمير لكنها فشلت في ذلك لحصانة المنطقة و لشدة المقاومة ، ولوجود قوة حماية خاصة للأمير بقيادة التلّي بن لكحل بالشمال الشرقي لجبل بوكحيل[5].

لقد تواصلت معاناة سكان مناطق الجلفة بعد توقّف مقاومة الأمير عبد القادر من جرائم السفاح (الجنرال يوسف)[6] الذي ضاهت جرائمه ـ بالجنوب ـ ما اقترفه السفاح (بيجو Peugeot) ، و تأتي تلك الجرائم بعد ما قرّر الحاكم العام (راندون Randon) سنة 1852 السيطرة على الجنوب الجزائري لتأمين التل و فتح الأبواب لحملات عسكرية جديدة و استغلال تجارة العبيد ، و تجذير الاستعمار بالمناطق الصحراوية.

في جويلية 1852 شرع الجنرال يوسف في بناء معسكر للجيش الفرنسي (بضاية الجلفة) ، وشنّ حربا شاملة على عروش المنطقة الجنوبية ليخمد فيهم روح المقاومة، و زحفت جيوش العدو الفرنسي بداية شهر ديسمبر 1852 من عدة اتجاهات نحو الأغواط لقمع عروش شمال الصحراء التي ناصرت محمد بن عبد الله[7] شريف ورقلة ، وقد قرّر العدو جعل الأغواط معسكر الجيوش الفرنسية لمراقبة جنوب الجزائر ، وكانت تلك الحملات العسكرية إحدى عوامل استمرار المقاومات الشعبية خلال القرن 19 بالمناطق الجنوبية ، و منها مقاومة أولاد طعبة 1852 ، ومقاومة أولاد أم الإخوة 1853 ، وصولا لمقاومة سي عبد الرحمن بن الطاهر بداية القرن ال20 .

02 / الزاوية الطاهيرية منشأ سي عبد الرحمن و مهد الجهاد .

تأسست الزاوية الطاهيرية عام 1832 حسب أرجح الروايات على يد الشيخ الطاهر بن محمد و سميت (بيت سيدي الطاهر)، كان الشيخ المؤسس قد تتلمذ وأخذ العلوم الشرعية و اللغوية من شيوخ الزاوية العثمانية بطولقة ، والزاوية المختارية بأولاد جلال ، و جاء تأسيسه لزاويته بإذن و مشورة من شيوخ الزاويتين[8].

مثلت الزاوية الطاهيرية في ثلاثينيات القرن 19 منارة علمية ينهل منها طلبة العلم القرآن الكريم و الفقه المالكي و العلوم اللغة العربية ، و استمرّ الشيخ سيدي الطاهر في مشروعه الرسالي العلمي و التربوي و الاجتماعي إلى وفاته سنة 1891 ، ليخلفه الشيخ سيدي يوسف العالم الزاهد الذي واصل مشروع الزاوية وقد ذاع صيتها و كثر تلامذتها إلى أن لقي ربه سنة 1917 ، فخلفه الشيخ سي المختار الذي وصفه معاصروه بأنه عالم شرع ، و رائد فكر ، قد استوعب قضايا عصره وحمل هموم أمته ، و قد كان صديقا للشيخ نعيم النعيمي ، الذي أسند له الرئاسة الشرفية لشعبة جمعية العلماء المسلمين بمسعد في جانفي 1948 ، و يشير المختار مخلط في مذكراته أن علاقته قد توطدت بالشيخ المختار منذ لقاء شعبة الجمعية بمسعد ، فأرسل في طلبه و مما صارحه به : (أنّ سي عبد الرحمن بن الطاهر كان يبحث عن شباب مثقف من أمثالكم ، لكنه لم يجدهم ، و لذلك مات و لم يكمل مشروعه ...)[9] .

توفي الشيخ المختار سنة 1951 ، و خلفه في خدمة الزاوية الشيخ محمد الطيب المعروف بالشيخ محاد الطيب ، وقد عرف بورعه و علمه وحلمه و في ظله كانت الزاوية الطاهيرية مركزا للثورة الحريرية بالمنطقة الثالثة وكان للشيخين سي بلقاسم و سي بلخير دورا كبيرا في ذلك ، و كانت الزاوية الطاهيرية أول مركز يؤسس فيه العمل الثوري بالجلفة من قبل القائد هاني محمد بن الهادي[10] في اكتوبر 1955 و صار سي بلقاسم مشرفا على اللجنة الموسعة التي تشمل كل عروش مسعد المنضوية تحت لواء الثورة التحريرية في 29 أوت 1956 ، و بكلمة منه يكون كل ما تحتاجه الثورة جاهزا لما له من مكانة رفيعة بين الناس .

نظرا للمكانة الثورية التي صار يتمتع بها واستشعار الإدارة الفرنسية و أتباعها بخطره الكبير قام الجيش الفرنسي بمهاجمة الزاوية الطاهيرية بالصحراء ونقل سي بلقاسم على متن مروحية

إلى مسعد في 08 ماي 1957 ، أين تعرض إلى تحقيق دقيق وحكم عليه بالإقامة الجبرية لمدة قاربت الثلاثة أشهر إلى جويلية 1957 .

عاود الاستعمار اعتقاله مرة ثانية في 09 ماي 1959 ونقل إلى سجن الجلفة ، وبقي في سجن ما يقارب ال08 أشهر لينقل إلى الإقامة الجبرية بمدينة الجلفة ولم ليطلق سراحه حتى جويلية 1962 .

تولي الشيخ سي بلخير مشيخة الزاوية الطاهيرية عام 1969 بعد وفاة الشيخ سي محمد الطيب وكان الشيخ عالما زاهدا كريما ، و كان سي بلقاسم مساعده ورفيقه للشيخ في الحلّ و الترحال[11] إلى أن لقي ربه سنة 1975 ، ليواصل سي بلقاسم خدمة الزاوية الطاهيرية و أهل العلم و المحتاجين إلى وفاته سنة 1982 ، فخلفه أبنه سي المختار على مشيخة الزاوية الطاهيرية التي لا تزال عامرة إلى اليوم بتلاوة القرآن الكريم و خدمة المحتاج و ابن السبيل .

03 / نشأة وتعلّم سي عبد الرحمن .

سي عبد الرحمان بن احمد بن الطاهر بن محمد و لد سنة 1874 ، بصحراء مسعد بالمنطقة المسماة ضاية زخروفة ، حفظ القرآن الكريم في صغره على أيدي مشايخ الزاوية الطاهيرية ، و نال نصيبا وافرا من العلوم الشرعية و اللغوية هناك ، وأكمل مشواره العلمي بزاوية سيدي بن عزوز البرجي قرب طولقة و أخذ عن شيخها أبي القاسم الهاملي، و أخذ العهد في الطريقة الرحمانية على يد الشيخ سي عبد الرحمان النعاس بن سليمان.

في ريعان شبابه صار الشيخ سي عبد الرحمان عالما شرعيا ، و مصلحا اجتماعيا و منظرا سياسيا ، و قائدا عسكريا ، و تلك خصال كبيرة نادرا ما تجتمع في شخص واحد[12]، مما سيجعله في تحدي مباشر مع الوجود الاستعماري في المنطقة .

طاف سي عبد الرحمن الكثير من الزوايا الرحمانية و جالس مشايخها ليعود إلى مسعد و يؤسس فرعا للزاوية الطاهيرية بمنطقة (لمكيمن) الواقعة في السفح الجنوبي لجبل دمد و التي لا يفصلها عن مدينة القاهرة سوى واد الحميضة ، و كان الهدف من إنشاء تلك الزاوية إبعاد أنظار الإدارة الاستعمارية عن الزاوية الطاهيرية الأم ، بعدما صارت كل تحركاته متابعة و ترصدها أعين الاستعمار .

نظم سي عبد الرحمن قصيدة عن (المكيمن) من الشعر الملحون جاء في مطلعها :

يا حسراه عليك يا لمكيمن يا زين الجار *** يا حسراه عليك يالي تعجبني .

ماذا يصيـــر في ذا الدهـــر الغـــدّار *** بأمـــور سابقة تلحقـــني13.

استقطبت بيت سي عبد الرحمن بالمكيمن الكثير من العلماء و شيوخ الزوايا و الطرق الصوفية وصار الشيخ مرجعية للعلم الشرعي و الرأي السديد ، وكان من أبرز الشيوخ و رجال العلم الذين قصدوه الشيخ الطاهر العبيدي عالم منطقة واد ريغ و الشيخ بيوض شيخ الإباضية بمنطقة وادي ميزاب و الشيخ عبد القادر بن براهيم ، و الشيخ محمد الطفيّش وغيرهم كثير .

كان الشيخ ناصرا للحق في كل مواقفه و مجابها للباطل و البدع أهله وأدعياء المشيخة ، و من المواقف التي سجلها له التاريخ ، أنه نزل مع صحبه عند شيخ ادعى أنه صاحب زاوية ، و أنّ شيوخه منحوه عمامة المشيخة ، و لما حان وقت صلاة المغرب طلب منه سي عبد الرحمن أن يصلي بهم ، فقام الرجل و صلى بهم سرا ، و ظن من حضر أن الرجل قد سها ، و عند صلاة العشاء ارتكب نفس الخطأ ، فأدرك سي عبد الرحمن أن هذا المدعي للمشيخة لا يفرّق بين الصلاة السرية و الجهرية ، و لا يعلم للشرعي سبيلا ، فطلب من أصحابه إعادة الصلاة ، و أرسل لشيوخ الزاوية التي منحته الإذن بالمشيخة و إقامة الزاوية عتابا شديدا ، وقد وصف أدعياء العلم و المشيخة في رسالة عنوانها (العمائم على رؤوس البهائم)[14].

بلغت شهرة الشيخ سي عبد الرحمن الآفاق ، فقد صار من أعلام الجزائر خلال الربع الأول من القرن العشرين ، فقد راسلته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال شيخها ابن باديس لتعرف موقفه من سياسة الإدماج التي كانت بعض النخب

الفكرية تدعوا لها ، و قد ردّ الشيخ سي عبد الرحمن عن رسالة الجمعية بجواب مكتوب أرسله مع الشيخ سي بلقاسم جاء فيه : (... أنّ فرنسا تفرض قوانينها من وراء البحر و أنّ الجزائر بلد عربي و إسلامي لا يقبل الإدماج ، و ذيّل تلك الرسالة بقصيدة مما جاء فيها :

لست أبدل ديني كلا و لا أتردد *** من كان يرضى فرنسا فليس يرضى محمد[15].

هناك معلومات أكدت أن الشيخ سي عبد الرحمن لما سمع بسعي شيوخ جمعية العلماء المسلمين وعلى رأسهم الشيخ ابن باديس للتحضير لعقد المؤتمر التأسيسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، بعث لهم برسالة مساندة و تأييد و معها مبلغ مالي[16] إسهاما منه في الحفاظ على الهوية الجزائرية العربية الإسلامية التي أراد الاحتلال طمس معالمها .

عند تأسيس جمعية علماء السنّة في 15 سبتمبر 1932 ، اختير ليكون عضوا شرفيا في مكتبها ، ومما جاء في خطابهم للشيخ : (... و قد اختارتكم بما لكم من الغيرة على الدّين عضوا شرفيا تستمدّ من آرائكم السديدة ما يزيد لها نموا وتقدما وعلى كل حال فإننا لا نشك في إجابتكم بالقبول حالا وإننا في انتظار إجابتكم لكي نعتبركم من أعضاء الجمعية المخلصين الذين سننشر أسماءهم على صفحات الجرائد ، و ختما لكم مزيد الشكر)[17]، لكنّ ذلك الخطاب جاء متأخرا ، و لم تعلم جمعية علماء السنّة أن الشيخ قد استشهد قبل تاريخ تأسيسها بأزيد من سنة .

04 / سي عبد الرحمن الزعيم الشاعر .

زيادة على موسوعيته في العلوم الشرعية و اللغوية ، كان سي عبد الرحمن من أبرز شعراء عصره خاصة في الشعر الملحون الذي نظم فيه ما يربو عن ثلاثين قصيدة ، تنوعت مضامينها بين قصائد مدح الرسول صلى الله عليه و سلّم والقصائد التربوية ، و توجيه المريدين ، و إبراز فضل الطريقة الرحمانية وشيوخها ، التبشير بزوال الاستعمار ، و أحوال الناس و الأمراض الاجتماعية التي انتشرت بينهم ، ووصف الصحراء ، و تجاربه في الحياة و غيرها .

من شواهد تلك القصائد :

. قصيدة (الله يا غاني)[18] و تعد من أطول القصائد و أجملها ، كلها وعض وإرشاد و حكم و قد استهلّها بالبيتين التاليين :

الله يا غاني يا واحد معبود حقّاني *** إلهي سلطاني لا شريك له لا ثاني .

بديت باسم الله ربي واحد لا شريك له *** فريد في ملكه مخالف لخلقه رحماني .

و قد أرّخ لهاته القصيدة بسنة 1323 هـ الموافق لـ 1925 م ، بقوله :

في عام ثلاث مئة بعد ألف تمّ قوليا *** عشرين ثانية ثالثهم تاريخ الوزاني .

و ختم تلك القصيدة الرائعة بالصلاة على النبي صلى الله عليه و سلّم و الثناء على الصحابة و آل البيت الكرام ، و يخص بالثناء الخلفاء الراشدين و باقي المبشرين بالجنة ، و سبطي رسول الله ، و فاطمة الزهراء رضي الله عنهم أجمعين ، ويقول في ذلك :

يارب الأرباب أرضى عن الآل والأصحاب**جميع يا وهّاب كل المسلمين يا غاني.

و أرحم يا حنين أئمتنا الراشدين***أنصار نور العين و ظهر العربي المداني

كتب الشيخ أربع قصائد للمريدين كلها توجيه و إرشاد لما يجب أن يكون عليه المريد و طالب العلم و حملت العناوين التالية : (يا مريد رد بالك لا تنس ، يا مريد الوصال لمقام الإحسان ، يا قارئ القرآن يا مريد ، نصيحة للمريدين ، يا قارئ القرآن) ، ومما جاء في مطلع قصيدة (يا مريد رد بالك لا تنس) :

يا مريد رد بالك لا تنس *** و اسمع مني كي نوصي و اقراها .

لا تجهلش وصايتي و لا تغفل *** و اعمل بها كي تفقد مولاها .

شغل مدح النبي صلى الله عليه و سلّم ، و التوسّل و الابتهال إلى الله تعالى حيز لا بأس به من قصائد الشيخ ، إذ بلغ عددها خمس قصائد ، وجاءت عناوينها كما يأتي : (صلاتك ربي و السلام على النبي ، لا إله إلا الله[19] ، التوسّل الابتهال إلى المولى عزّ و جل ، صلى الله على محمد ، يا رب صل على النبي) .

من قصائده في الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم ، التي عنونها بـ (صلاتك ربي و السلام على النبي) ، و جاء في مطلعها :

صلاتك ربي و السلام على النبي *** صلاة لها نور كما البرق يلمع .

بـدأت باسم الله أوّل قــول له *** الحمد و الثناء و الفضل أجمع .

من أبرز قصائد الشيخ سي عبد الرحمن تلك التي كان عنوانها (نبدأ باسم الرحمن مولانا ستّار) والتي أظهرت إطلاعه الواسع على الأحوال السياسية للعالم الإسلامي في بداية القرن العشرين ، فقد أشار إلى السيطرة الاستعمارية الفرنسية على المغرب[20]، و ذكر ما تعانيه الحواضر الكبرى للمغرب مثل الدار البيضاء ، وفاس و وجدة ، و مراكش ، لكنه في نفس الوقت بشّر الاستعمار الفرنسي بالهزيمة ، وفي ذات القصيدة أشار إلى طرابلس الغرب و ما يحدث فيها ، حيث تعرضت للاحتلال الايطالي سنة 1912 ، و تطرّق إلى حاضرة الخلافة الإسلامية العثمانية اسطنبول التي كانت تعاني ضغط الأعداء .

ومما جاء في تلك القصيدة التي شملت 47 بيتا :

أفهم قــــولي و لا تضيعش نوصيك *** ننصحك باش تكون عرّاف المعنى .

بشّر الفرانسيـــس ذا العـــام نوريك *** النصر هاهو جاك للدار البيضاء .

... تسمع وجـدا مع البيضاء مكسورين *** ومراكش زيد الأحــواز العظمى .

... يا حسراه عليك يا طرابلس ماذا صار *** وقت الأمــان راكدة عنها قمة[21].

من أجمل قصائد الرثاء للشيخ كانت قصيدة رثاء شيخه الإمام سي عبد الرحمن النعّاس و جاء فيها :

عن قطـب الأنــام ننشد النظام *** نرثي ذا الإمام دحمان الفردي .

يا حزن الأحباس عن فقد النعاس *** يا شر الأنفاس عن زين الوردي .

يا ضو المكــان من فقد السلطــان *** يا حزن الأخوان عن زين العهد[22].

05 / مجابهة الشيخ سي عبد الرحمن للسياسة الاستعمارية .

ناهض الثائر سي عبد الرحمان بن الطاهر و من ورائه الزاوية الرحمانية الطاهيرية السياسة الاستعمارية منذ مطلع القرن العشرين ، وشكل مقاومة حقيقة لسياسة الاحتلال الجائرة المنطقة ،بعدما خمدت معظم الثورات الشعبية في الوطن ، و مثّل استثناء يكاد يكون نادرا في مواجهة الاستعمار رغم قلة الإمكانات فقد عارض سياسة مصادرة الأراضي و قانون الضرائب لسنة 1912 و دخل في تحدي مباشر مع العدو الفرنسي سنة 1913 حينما قام بعملية استعراضية متحديا العدو بدخوله مدينة الجلفة على رأس 100 فارس[23]، كما عارض قانون التجنيد الإجباري الذي أصدرته فرنسا سنة 1914 و دعا إلى العصيان المدني ضد ذلك القانون ، وقد لقيت دعوته استجابة واسعة ، لما تمتع به من مكانة دينية و اجتماعية كبيرة ، فقامت السلطة الاستعمارية باعتقاله و سجنه بالجلفة ، ثم فرضت عليه الإقامـة الجبرية لعدة أشهر .

أقام الشيخ مؤتمرا علميا و سياسيا بمنطقة بريش حيث إقامته الشتوية في صحراء مسعد بعد للإفراج عنه ، وحمل ذلك الملتقى شعار (ثلاث ليل في الصحراء) ، تداول فيها من حضر من الشيوخ و العلماء الأوضاع السياسية للمنطقة و كيفية مجابهة السياسة الاستعمارية ، و إمكانية توسيع النضال ليأخذ صبغة وطنية و مغاربية ، ومن جملة العلماء الذين حضروا ذلك المؤتمر الشيخ الطفيّش .

خلال سنة 1915 كانت لسي عبد الرحمن عدة مواجهات مع العدو الفرنسي منها اشتبك مع مفرزة للجيش

الفرنسي في منطقة (طزيوة) قرب تقرت ، والتي جرح فيها تلميذه إبراهيم بن خلف الله ، لتتواصل مقاومته إلى سنة 1916 حيث كانت له عدة اشتباكات مع جنود العدو منها اشتباك (ضاية القويسي) بصحراء مسعد ، ثم اشتباك المعلبة (على تخوم الجلفة).

لإخماد على جذوة المقاومة لدى سي عبد الرحمان و أتباعه قامت السلطات الاستعمارية بنفيه إلى منطقة بركنت (عين بني مظهر) بوجدة المغربية حيث استضافه الشيخ علال بن الشيخ زعيم قبيلة أولاد سيدي الشيخ الغرابة ، كما ألقت السلطة الاستعمارية القبض على اثني عشر من أبرز أتباعه منهم ابنه عمر و زجت بهم في سجن تعظميت ، بالجنوب الغربي لمدينة الجلفة ، ومن منفاه الإجباري واصل الشيخ نضاله من خلال الرسائل و المبعوثين لمريديه و تلامذته ليواصلوا جهاد الموقف و الكلمة ضد سياسات الاحتلال .

06 / سعي الشيخ لثورة مغاربية .

عند نهاية الحرب العالمية الأولى عاد سي عبد الرحمان من منفاه ، وقد أدرك أن الاستعمار الصليبي (الفرنسي ، الايطالي ، الاسباني) المسيطر على الجزائر وليبيا و المغرب و تونس يجب أن يواجه بمقاومة مغاربية موحدة ، لهذا الهدف راسل، الملك السنوسي في ليبيا[24] ، و كان مبعوثه الخاص في تلك المهمة الشيخ المبروك بن هبال الأخضري[25] ، إلا أن الشيخ السنوسي اعتبر أنّ الظروف في تلك المرحلة غير مواتية لوحدة الجهاد ضد المحتل ، و راسل أيضا الزعيم عبد الكريم الخطابي بالمغرب ، و الذي كان مؤمن بفكرة توحيد المقاومة بين دول المغرب العربي ، لكنه كان يجنح للمقاومة السياسية بدل المقاومة العسكرية .

07 / استشهاد الثائر سي عبد الرحمن .

بعث الشيخ سي عبد الرحمان بن الطاهر المقاومة المسلحة من جديد في بداية عشرينيات القرن التاسع عشر ، مشكلا فرقة عسكرية تجوب الصحراء بين مسعد و تقرت في تحدي جديد للوجود الفرنسي ، وقد اشتبك مع قافلة عسكرية فرنسية سنة 1923 بمنطقة (طزيوة) . للمرة الثانية . وقتل في تلك المواجهة جنديا فرنسيا ،مما جعل الشيخ عرضة للمطاردة ، ومطلوبا لدى السلطات الاستعمارية التي هدّمت منازله المتواجدة بالصحراء ، و قد تعرض الشيخ خلال تلك السنوات إلى استفزازات ومضايقات السلطة الاستعمارية ، و سجن عدة مرات بتقرت و الأغواط والجلفة ، ولما صار مصدر قلق مزمن للعدو الاستعماري في تلك المناطق قرّر العسكريون الفرنسيون التخلص منه ومن مقاومته التي أقضت مضاجعهم طوال الثلث الأول من القرن العشرين ، فألقي عليه القبض للمرة الأخيرة و نقل إلى سجن بربروس بالجزائر أين شكلت له محاكمة صورية و حكم عليه بالإعدام في 13 جويلية 1931 [26] لينفذ ذلك الحكم الجائر في 14 جويلية بمناسبة العيد الوطني لفرنسا .

خاتمة .

ساهمت عروش منطقة الجلفة في مجابهة الاحتلال الفرنسي منذ 1833 وقدت مئات الشهداء ، و تجلت مظاهر الجهاد من خلال مساهمة فرسان أولاد نائل و بقية العروش في جل المقاومات الشعبية انطلاقا من مقاومة الشيخ موسى الدرقاوي ومرورا بمقاومة الأمير عبد القادر و محمد بن عب الله شريف ورقلة و صولا للمقاومة الشيخ سي عبد الرحمان بن الطاهر في عشرينيات القرن العشرين .

لعبت الزوايا الرحمانية دورا جهاديا بارزا على المستوى الوطني، ومثلت الزاوية الطاهيرية أبرز صور الجهاد الثقافي و العسكري خلال الحقبة الاحتلالية ، و كان الزعيم سي عبد الرحمان بن الطاهر أحد أبرز وشيوخها ، فقد كان قائد عسكريا ومنظرا سياسيا و علما شرعيا ، ممّا جعل أبناء المناطق الجنوبية للجلفة يلتفون حول مقاومته ويتعلقون بدعوته إلى درجة التقديس ، و هذا ما جعل إدارة الاحتلال تخشى من دعوته و ترصد تحركاته و تناصبه العداء ، فقد زجت به في السجون عدة مرات وأمام صلابة مواقفه و خشيت قادتها من خطره على مشروعها في الجنوب نفذت عليه حكم الإعدام في 14 جويلية 1931 .

الملاحق .

الملحق رقم 01 .

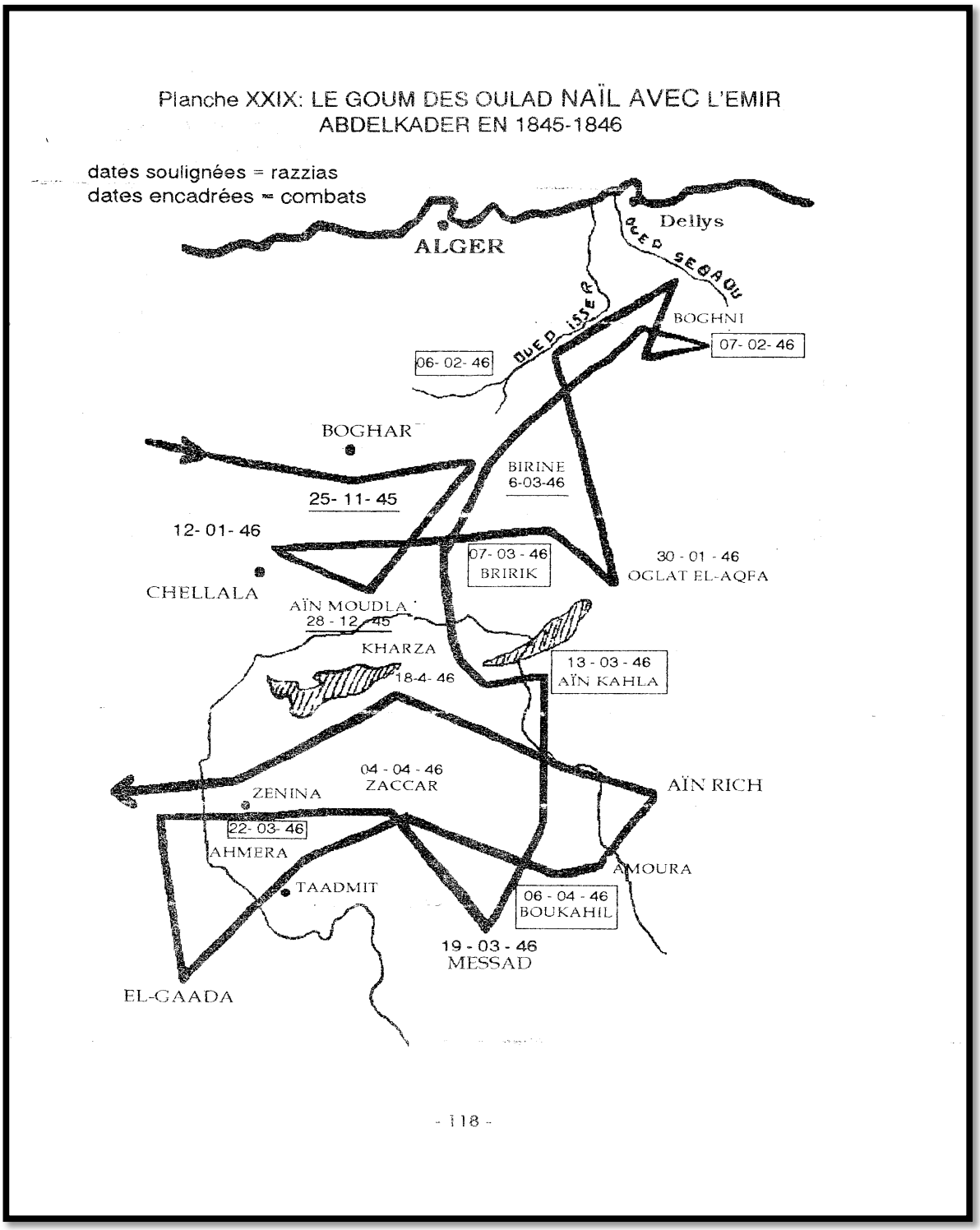

خريطة تنقل الأمير عبد القادر في مناطق أولاد نائل 1845 / 1846.

François de VILLARET : Siècles de steppe. Jalons pour l'histoire de Djelfa. Deuxième partie: les Oulad Naïl. Ghardaïa . Algérie . 1959 . P : 118 .

الملحق رقم 02 .

صورة الشيخ سي عبد الرحمن رفقة ابن سي عمر .

الملحق رقم : 03 .

بعض شيوخ الزاوية الطاهيرية : سي عبد الرحمن ، سي محمد الطيب ، سي المختار ، سي بلخير ، سي بلقاسم ، سي المختار .

الشيخان المجاهدان المتلازمان . من اليمين إلى اليسار. سي بلخير و سي بلقاسم .

الملحق رقم : 04

بسم الله الرحمان الرحيم — وصلى الله على سيدنا محمد وآله

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا
قرآن مجيد

بعثت لأتمم مكارم الأخلاق
حديث شريف

جمعية علماء السنة

حضرة المحترم [illegible]

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته نحيط جنابكم علما بأنه قد تأسس بالعاصمة يوم الخميس ١٥ جمادي الاولى ١٥ سبتمبر جمعية علمية تحت العنوان المذكور أعلاه بحضور أكثر من خمسمائة من المبعوث الدينية التي جاءت من كل [illegible] وقد [illegible] والتهذيب وحمايته من العوامل السيئة التي تحاربه بوسائل عديدة.

وقد اختارتكم بما لكم من الغيرة على الدين محمود [illegible] لها لتستمد من آرائكم السديدة ما يزيد لها نموا وتقدما وعلى كل حال فاننا لا نشك في إجابتكم بالقبول حالا واننا في انتظار جوابكم لكي نعتبركم من أعضاء الجمعية المخلصين الذين سننشر أسماءهم على صفحات الجرائد ختاما لكم مزيد الشكر

تحريرا بالجزائر جمادي الاولى سنة ١٣٥١ - سبتمبر ١٩٣٢

بمركز الجمعية الواقعة بهج رانسدون زنقة بيجون عدد ٣ — بالجزائر
Rue Randon Impasse Bugeaud, 3 - Alger

رئيس جمعية علماء السنة .
المولود بن الصديق الخابطي

Djelfa.info © 2018

رسالة جمعية علماء السنّة للشيخ سي عبد الرحمن .

الملحق رقم 05 .

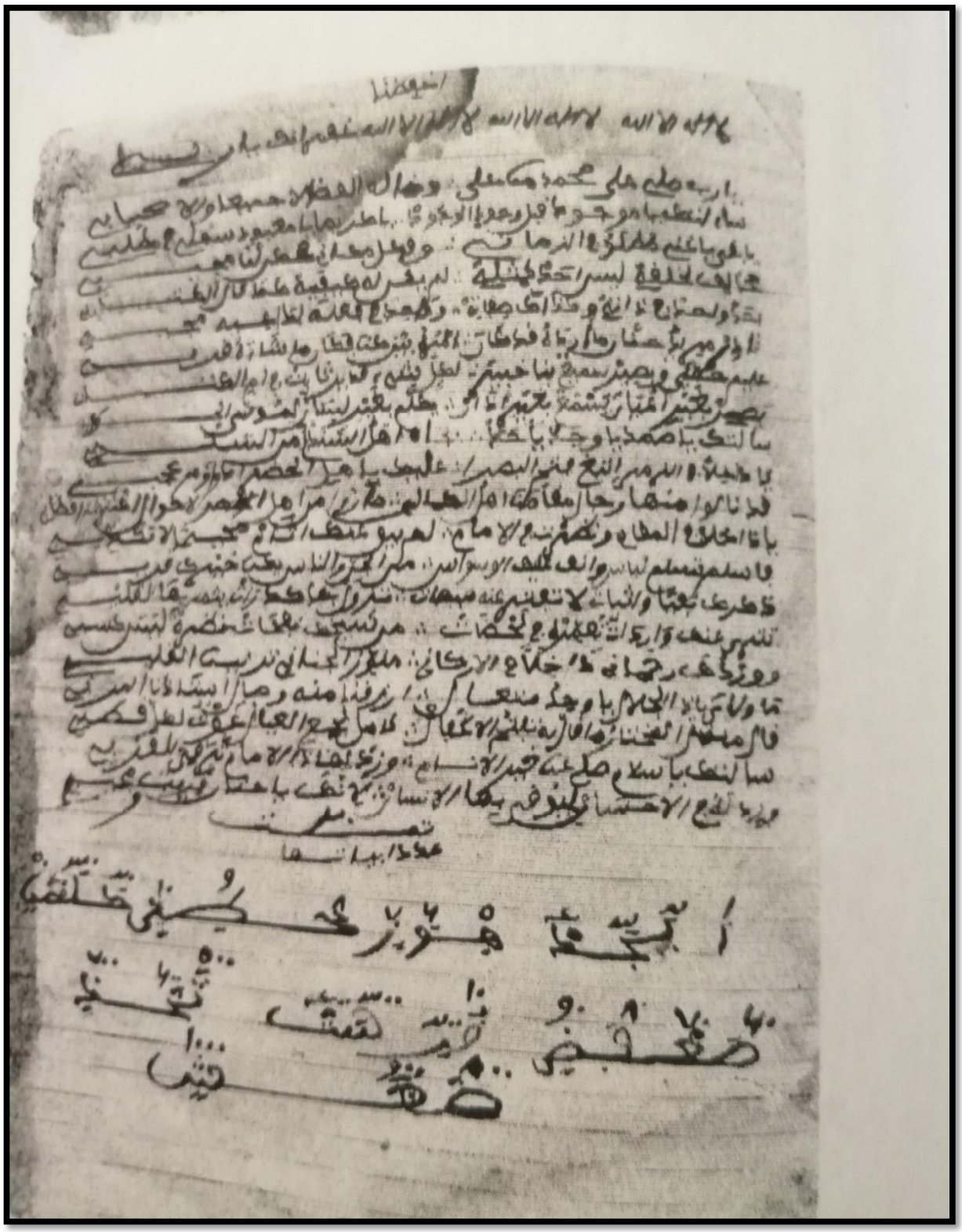

قصيدة لا إله إلا الله (يتوسل الله فيك الشيخ بأسماء الله الحسنى).

الملحق رقم : 06 .

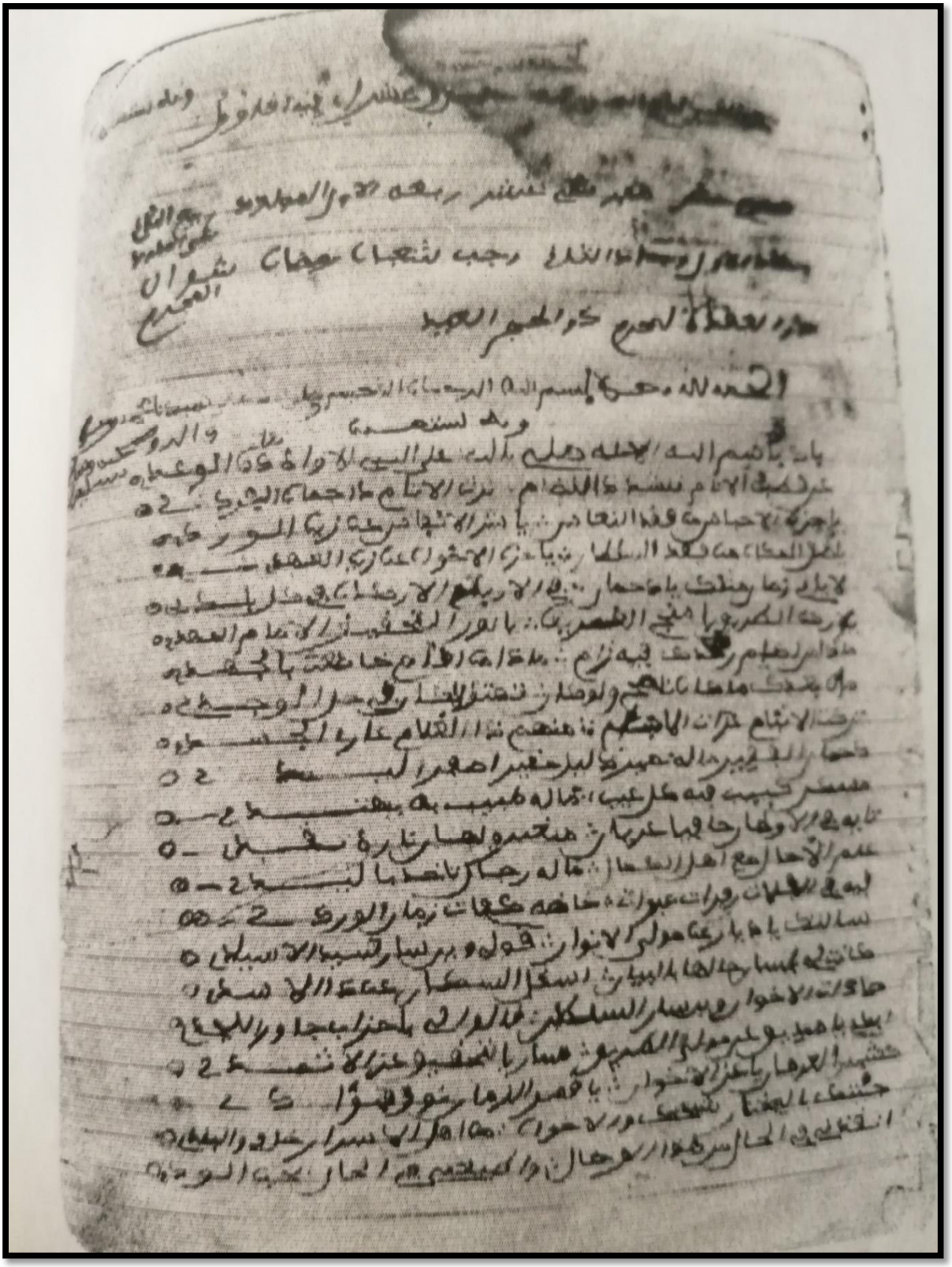

... تابع الملحق رقم : 06

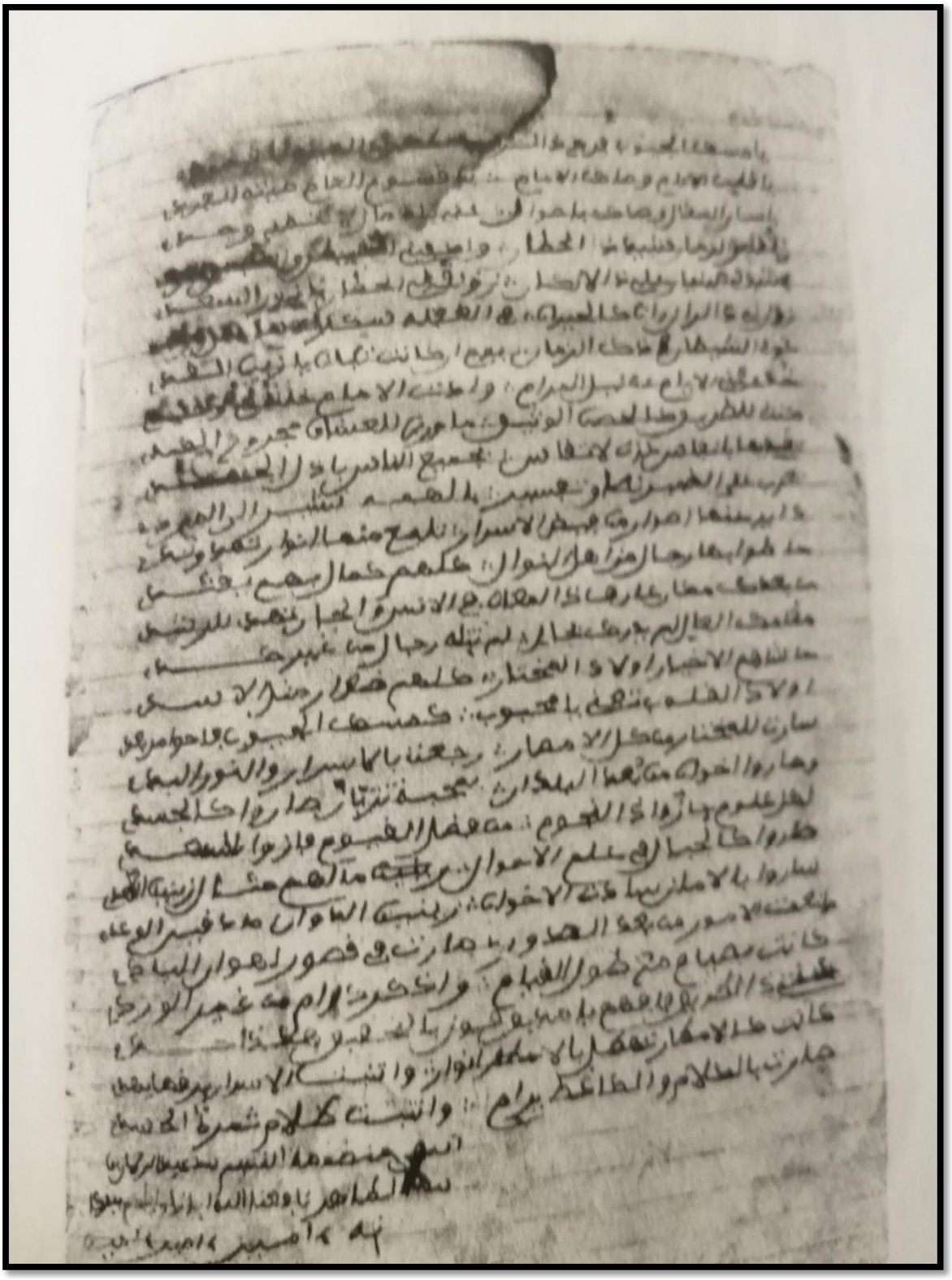

قصيدة رثاء الإمام سيدي عبد الرحمن النعاس .

الملحق رقم : 07 .

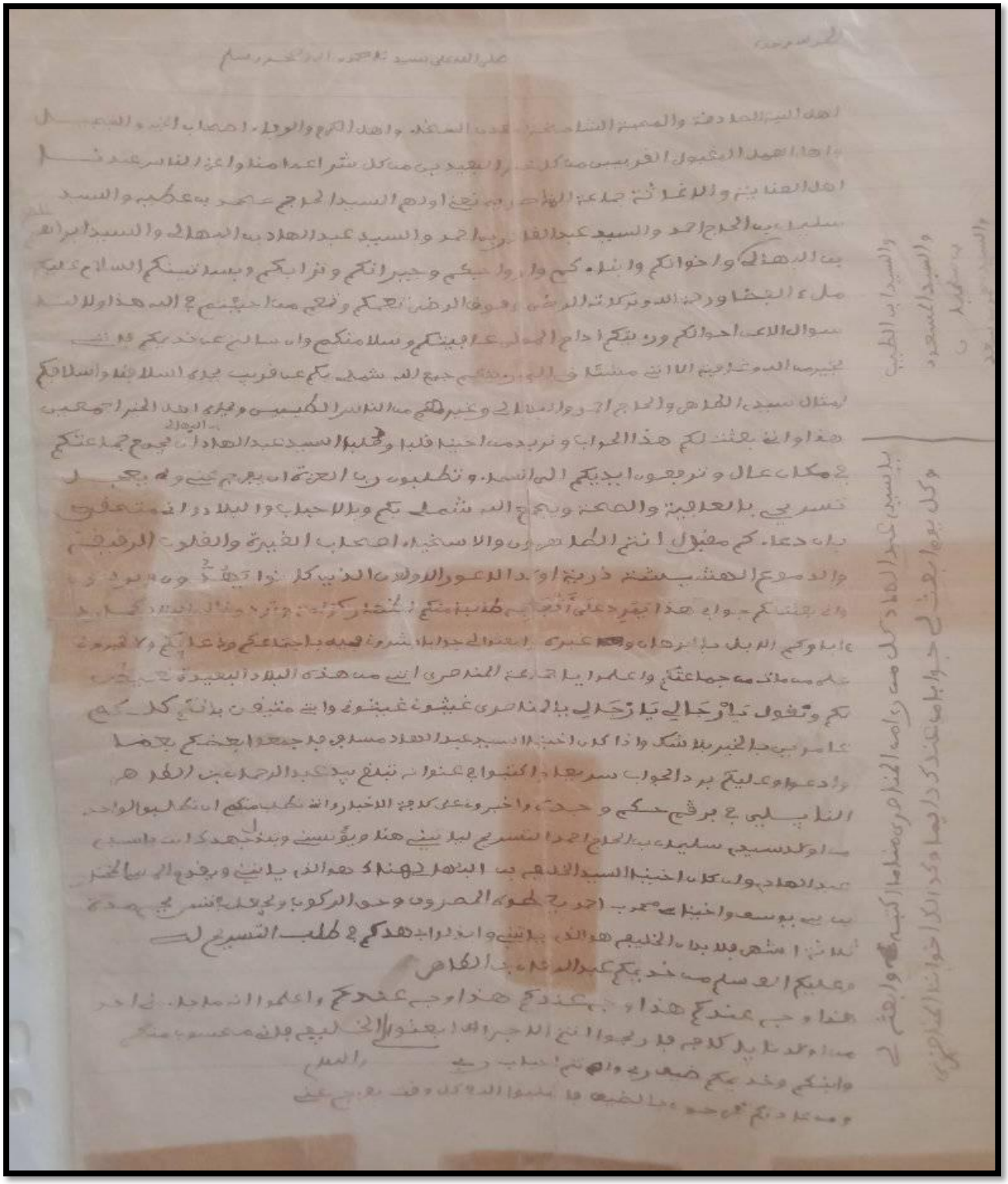

رسالة بعثها الشيخ سي عبد الرحمن بن الطاهر من المغرب للشيخ سي عبد الهادي بن البوهالي يستفسر فيها عن أحوال الشيوخ و يطلب الدعاء و المراسلة .

الهوامش

[1] – François de VILLARET : Siècles de steppe. Jalons pour l'histoire de Djelfa. Deuxième partie: les Oulad Naïl. Ghardaïa . Algérie . 1959 . P – P : 110 .113

2 –ibid. P . P : 110 , 111

3 . لا تزال هاته الدار بحي دمد (مسعد) ، و قد تعرضت للحرق من قبل القوات الفرنسية سنة 1847 ، لكن الظروف الطبيعية أتت على جزء كبير منها ، و تتطلب التدخل العاجل لترميمها كونها احد الشواهد التاريخية على مشاركة أبناء المنطقة في المقاومة الشعبية ، و ليس بعيدا عنها مقر الزاوية الدرقاوية . بحي النوارة . التي انطلق منا الشيخ موسى الدرقاوي سنة 1832 متوجا إلى المدية حيث شكل مقاومة كبيرة في وجه الاستعمار ، لكن كلا المعلمين يعاني الإهمال و اللامبالاة ، متى تتحرك الهيئات المعنية لصيانة هذا الإرث التاريخي ؟.

04 – de VILLARET : op . cit . p : 115 .

5. انظر خريطة تحركات الأمير في منطقة الجلفة : ص : 118 (de VILLARET) .الملحق رقم : 01 .

6 – عاش الجنرال يوسف بين 1808 . 1866 ، كانت نشأته الأولى في قصر الباي بتونس . و لا يعرف له أصل حتى لقب بيوسف للقيط . أتقن اللغة العربية ثم انتقل إلى الجزائر ، وقلّد الجزائريين في هندامهم وحركاتهم و صار مطلعا على أفكارهم واحتياجاتهم . ادعى انه مسلم وتلفظ بالشهادة أمام الناس و أنه جاء من أجل تخليص أهالي المنطقة من الاحتلال الفرنسي و من اضطهاد أحمد باي قسنطينة ، ثم التحق بالجيش الفرنسي إلى أن وصل إلى رتبة جنرال ، وقد كان له دور بارز في المفاوضات بين الفرنسيين و أحمد باي ، ارتكب جرائم في حق الجزائريين بجرجرة و الجلفة و الاغواط ، توفي في 16مارس 1866 . انظر . محمد العربي الزبيري :مذكرات أحمد باي ، ط 1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1985 ، ص ص10 ، انظر كذلك . ابن عتو بليروات : الاحتلال الفرنسي للأغواط و ضواحيها سنة 1852 م وجرائمه ، مجلة عصور جديدة ، العدد 06 ، عدد خاص بخمسينية الاستقلال ، 1433 ، 2012 ، ص : 52 .

7 – محمد بن عبد الله شريف ورقلة ، اختلف المؤرخون في موطنه الأصلي ، فنهم من يقول انه ينحدر من قبيلة بالغرب جزائري ومنهم من يرى انه من أصل تونسي ، وقف في البداية إلى جانب الاحتلال الفرنسي في محاربة الأمير عبد القادر ، وبعد أن عينه الجنرال بيجو Bugeaud خليفة على تلمسان بدأ يضايقه ، وراودت بيجو شكوكا في إخلاصه للمشروع الاستعماري الفرنسي فاقترح عليه أن يسافر للمشرق العربي ، مما جعله ينقلب على الفرنسيين ويخوض عدة ثورات امتدت من 1842 إلى 1895 . للاطلاع أكثر على تلك المقاومة راجع : ابن عتو ، مرجع سابق ، ص . ص : 41 . 52

8 . مقابلة مع شيخ الزاوية الطاهيرية سي المختار ، بالزاوية الطاهيرية بقرية الزاوية بلدية سلمانة ، 16 / 07 2016 .

9 . مختار مخلط : تاريخ جهاد ، يوميات من الولاية السادسة ، إعداد : أمحمد قرّود ، دار نعمان للطباعة و النشر الجزائر ، 2016 ، ص : 37 .

10 . محمد بن الهادي أو هاني محمد بن الهادي ، من الأوائل الذين أسسوا للعمل الثوري بالولاية السادسة ، كلف في فيفري 1956 من طرف الشيخ زيان بالإشراف التنظيمي و العسكري على منطقة واسعة شملت : مسعد ، عين الإبل عين الريش ، فيض البطمة لمليليحة و عمورة ، خاض الكثير المعارك ضد العدو من أهمها : معركة قزران ماي 1956 ، معركة النسنيسة 15 جانفي 1957 ، معركة تقرسان 09 أفريل 1957 ، أسر في جانفي 1958 من طرف أتباع الخائن بلونيس ، وقد تعهد قائدهم مفتاح أن لا يلحق ببن الهادي أي أذي ، على اعتبار أنه من القيادات الثورية ذات الشعبية بين جنود الولاية السادسة ، لكن بعد قتله من طرف الخائن بلونيس ، أدرك غالبية جيش الصحراء أنه قد غرر بهم ، وأن بلونيس قد استعملهم في مؤامرة تحالفه مع العدو . انظر . أمانة الولائية للمجاهدين بالجلفة : القادة الشهداء ، تقرير الأمانة الولائية للمجاهدين ، 2007 . للمزيد عد إلى مختار مخلط : المصدر السابق ، ص ـ ص : 91 ـ 93 ـ

11 . انظر صورة للشيخين المجاهدين سي بلقاسم و سي بلخير ، الملحق رقم : 03.

12 . محفوظي عامر : تحفة السائل بباقة من سيدي نائل ، مطبعة النعمان ، الجزائر ، 2002 ، ص . ص : 35 . 43 .

13 . طاهيري مختار : الشيخ عبد الرحمان بن الطاهر 1874 . 1931 ، حياته و نبذة عن آثاره ، دار الوسيط للطباعة و النشر و التوزيع ، 2011 ، ص : 114 .

14 . لقاء مع شيخ الزاوية سي المختار طاهيري ، مرجع سابق .

15 . طاهيري المختار : المرجع السابق ، ص : 48 .

16 . أخبرني الكثير ممن أثق بهم أنهم اطلعوا على تلك الرسالة سنة 1982 عندما وضع ملف تسمية ثاوية سي عبد الرحمن بن الطاهر بالجلفة ، لكني لم أتحصل على تلك الوثيقة بعد .

17 . انظر صورة لرسالة جمعية علماء السنة بالملحق قم : 04.

18 . طاهيري المختار : المرجع السابق ، ص ـ ص : 66 ـ 70 .

19 . انظر القصيدة مخطوطة بالملحق رقم :05 .

20 . فرضت فرنسا حمايتها على المغرب في 30 مارس 1912 ، و أجبر السلطان عبد الحفيظ على التنازل على العرش في 11 أوت 1912 انظر فادية عبد العزيز القطاني : الحركة الوطنية المغربية 1912 . 1937 ، المجلة الجامعة ، العدد السادس عشر ، المجلّد الأول ، فبراير ، 2014 ، للمزيد عن الحركة الوطنية في المغرب و باقي الدول المغاربية عد إلى : امحمد مالكي : الحركات الوطنية و الاستعمار في المغرب العربي ، ط 02 ، بيروت ، لبنان مركز دراسات الوحدة العربية ، 1985 .

21 طاهيري المختار ، المرجع السابق ، ص ، ص : 104 ، 105 .

22 . انظر المخطوطة بالملحق رقم : 06 .

23 . مجلة الفتح التربوية ، مسعد ، العدد الأول ، 1985 ، ص : 10 .

24 . في لقاء من شيخ الزاوية الطاهيرية أكد أن الرسالة التي بعث بها سي عبد الرحمن للملك السنوسي بقيت في مكتبة الزاوية بواجدي عند الشيخ سي محمد الطيب إلى نهاية سنة 1956 ، حيث أقدم جيش الاحتلال على إحراق المكتبة انتقاما من مساهمة الزاوية في ثورة التحرير ، للمزيد عد إلى : هرماس ابومحمد هرماس : من فضلاء الجلفة من 1861 إلى إلى مطلع القرن الحادي و العشرين الطبعة الثالثة ، دار صبحي للطباعة و النشر ، متليلي غرداية ، 2013 ، ص ، ص : 135 ، 136 .

25 . مريم سعود : أئمة و شعراء من الجلفة، الملتقى الوطني الأول الجلفة تاريخ و مآثر، المركز الثقافي الإسلامي الجلفة 2007 ص 144.

26 . محفوظي عامر : مرجع سابق ، ص : 25 ، أنظر كذلك . الشيخ محمد الصغير بن الشيخ المختار بن خليفة: تعطير الأكوان بنشر شذى نفحات أهل العرفان ،،تحقيق طاهيري المختار، دار كنوز الحكمة، الجزائر ط1، 2013، ص 361